

«وكان شيئاً لم يكن» مسلسل كويتي تتراوح أحداثه بين زمنين مختلفين

يرواح المسلسل الكويتي «وكان شيئاً لم يكن» بين حقبتي زمنيّتين مختلفتين، إذ تدور أحداثه بين تسعينات القرن الماضي والوقت الراهن. والشخصيات نفسها بممثلين مختلفين يؤدّون الأدوار نفسها هنا وهناك، كأننا أمام حالة سيولة زمنية، ومن دون إشارة أحياناً إلى هذا الانتقال بين حقبة وأخرى.

تخفي وراءها سرا، إذ تكتشف ثُمّاضر بعد فترة من الزواج أن يعقوب يتاجر في المشروبات الكحولية الممنوعة، وكان له دور في إيصال هذه الممنوعات إلى أبيها. تغضب ثُمّاضر بالطبع، لكنها تعود وتسامح زوجها حين يعدها بأنه سيني العمل في هذه التجارة، لكن القدر لا يميل يعقوب للتوبة، إذ يقع سريعاً ضحية لمؤامرة يدبرها له راشد شقيق زوجته، ويتم توقيفه وسجنه.

ولا تقتصر التحولات التي تطرأ على شخصيات المسلسل على ظهور هذا الجانب في شخصية يعقوب، بل تطالنا الأحداث أيضاً بالمزيد من المفاجآت التي ستقلب الأحداث رأساً على عقب، إذ يقع الأب سلطان فريسة للمرض فجأة، ويكتشف الأطباء أنه مصاب بتليف شديد في الكبد من جراء تعاطي الكحوليات المغشوشة، وينصح الأطباء بالإقلاع عنها. يفقد الأب من مرضه الثميت ويتعافى منه شيئاً فشيئاً، لكن مرضه هذا يتسبب في تحول جزئي في شخصيته، من القسوة الشديدة إلى اللين والندم على سلوكه السابق وطريقته القاسية مع زوجته وأبنائه.

أحداث ووقائع المسلسل تتتابع على نحو يبدو معه المشاهد وكأنه أمام عمليتين دراميين مختلفين بينهما تداخل واشتباك

هذه التحولات الحادة يكون لها وقع إيجابي على الأسرة بالطبع، إلا أنه سيكون لها انعكاس مختلف على شخصية الابن راشد الذي يبدأ في التخطيط للاستيلاء على ثروة أبيه بتحريض من زوجته. وعودة إلى المسار الأول للمسلسل نجد أن العرض النفسي تشدّد وطاته على ليلتي التي تعاني بين الحين والآخر من هوسات سمعية وبصرية، بل وتخلق شخصيات ليس لها وجود أحياناً، وهو الأمر الذي يُثير حفيظة أصدقائها، ويؤثر بالطبع على ابنتها التي تعاني هي الأخرى من إهمال زوجها جاسم، وخيائته المستمرة لها.

نجد أيضاً أن جاسم يخطّط للاستيلاء على ثروة زوجته واستغلال أمها. وهو يدس لها المخدر كي تتحوّل مع الوقت إلى مدمنة للأدوية المخدرة، وتصل إلى مرحلة لا تستطيع فيها العيش دونها. هذه التفاصيل المعقدة والمتشابكة بين الحاضر والماضي تبدو تهيئة لمفاجأة أخرى أكبر متعلقة بشخصيتي ليلتي و ثُمّاضر، إذ سنكتشف في ما بعد أنهما شخصية واحدة، وأن أغلب الأحداث المتعلقة بثنُمّاضر ما هي إلا نكريات تدور في عقل ليلتي.

يتمتع المسلسل بشحنة درامية مكثفة تنعكس على أداء كافة المشاركين فيه، حيث استطاعت الفنانة زهرة عرفات باقتدار تجسيد شخصية المريض النفسي والتحوّلات المفاجئة التي تنعكس على ردود أفعاله. وأيضا الفنان فهد عبدالمحسن في دور الأب المسيطر بتركيبته الجسدية وقسمات وجهه المعبرة. كما استطاع الفنان البحريني خالد الشاعر تقديم شخصية الشاب المتردد والمتناقض في تصرفاته على نحو هادئ ومقنع، وكذلك الفنانة نورا الشيخ.



شحنات درامية مكثفة

ناهد خزام
كاتبة مصرية

لا يعتمد المسلسل الكويتي «وكان شيئاً لم يكن» في مراوحته بين زمنين مختلفين، الأول في تسعينات القرن الماضي، والثاني في زمننا الحاضر، على طريقة الفلاش باك، فأحداثه ووقائعها تتتابع على نحو يبدو لنا فيه كأننا أمام عمليتين دراميين مختلفين بينهما تداخل واشتباك.

ولا شك أن الجهد المبذول من أجل الحفاظ على تلك التركيبة بدأ يظهر للجانب، لكنه في الوقت نفسه تسبب في حالة من الإرباك للمشاهد، والذي بذل بلا شك جهداً مقابلاً من أجل الإمسك بخطوط الأحداث والإلمام بطبيعة الوقائع المتباعدة زمنياً.

ويعرض المسلسل حالياً على قناة «أم.بي.سي» وهو من إخراج حسين الحلبي وتأليف الكاتبة سحاب، ويشارك فيه مجموعة كبيرة من النجوم والنجمات الخليجيات، على رأسهم زهرة عرفات وفهد عبدالمحسن وهبة السدي ومحمد صفر وخالد الشاعر ونور الشيخ وعبدالله الطليحي ومحمد العجمي، بالإضافة إلى مجموعة متنوعة من الوجوه الشابة. وتدور أحداث المسلسل كذكريات في ذهن امرأة تعاني من الفصام وهي ليلتي التي تؤدّي دورها الفنانة زهرة عرفات، وهي أم لابنة وحيدة ومقعّدة. هذه الابنة متزوجة من شخص غريب الأطوار اسمه جاسم، وتشرف أمها ليلتي على إحدى دور الأيتام.

على الجانب الآخر تطالعنا قصة مختلفة للفتاة ثُمّاضر التي تؤدّي دورها الفنانة نور الشيخ، وهي فتاة هادئة وجميلة، لكنها تعيش حياة قاسية مع والدها والتهيا هيفاء (هبة السدي) ووالدها سلطان المدمن على شرب الكحول والذي يؤدّي دوره الفنان فهد عبدالمحسن. ويتسم سلوك الأب بالقسوة الشديدة تجاه زوجته وابنته ثُمّاضر وراشد (محمد صفر) ويعاني الجميع من تحكّم غير المربر في أدق تفاصيل حياتهم، وهو إلى جانب ذلك يتسم بالطمع والجشع الشديد.

وفي المسلسل يرغم سلطان ابنته ثُمّاضر على القبول بأول رجل يتقدّم لها رغم سيرته السيئة وفارق العمر بينهما، لا لشيء سوى أن يتخلص من مسؤوليته تجاه الابنة، ولأن الرجل المتقدم للزواج منها صاحب ثروة، وهو أمر من شأنه أن يخرجها من أزمانه المالية وينقذ أعماله المتعثرة.

وبعد اعتراض شديد من قبل الأم وابنتها ومحاولات فاشلة للهروب لا ينقذ ثُمّاضر من هذه الورطة سوى ابن خالتها يعقوب، الذي يؤدّي دوره الفنان خالد الشاعر.

يتقدّم يعقوب لخطبة ثُمّاضر ويتزوجها بالفعل على الرغم من ممانعة الأب ورفضه المتكرر. غير أن حياة الفتاة الجديدة يغلب عليها التوتر والمشاحنات، خاصة مع تدخلات الأب المستمرة ومحاولاته للوقوع بين الزوجين، تضاف إلى ذلك مشاعر الزوجين المتضاربة تجاه بعضهما البعض، فداوماً ما كانت الفتاة تنظر إلى ابن خالتها كاخ لها، كما تقول. يتمتع يعقوب بأخلاق حسنة وهو شخص حنون، ويحاول قدر المستطاع الحفاظ على زواجه هذا، غير أن هذه الشخصية السوية التي يتسم بها الشاب ويرتبط انتعاشها بدخول مجموعة جديدة من صناعات الأفلام القصيرة المستقلة إلى ساحة الدراما، ونقلهم أسلوب عملهم إليها، مثل أحمد فوزي صالح، مؤلف مسلسل «الحرّامي» الذي قلص عدد الحلقة الواحدة من العمل، بإجمالي 80 دقيقة للعمل كله، أقل من مدة أي فيلم سينمائي عادي.

وأشارت مورييس إلى أن المنتجين سيفضلون مستقبل أسلوب «السباعيات»، لتحقيق مكاسب للقائمين على الصناعة بدءاً من الإنتاج بتقليل التكلفة، إضافة إلى تقليص الوقت اللازم لإنهاء التصوير والمشاركة بعدة أعمال في آن واحد، كما يقلل الإرهاق على كتاب السيناريو الحبيكات الفرعية اللازمة لتطوير الأحداث، وتأهيل أعمالهم لاشتراطات البث الرقمي.

ويظل رهان المعيار الرئيسي لنجاح العمل الدرامي على جودة صناعته، وجبته وليس طوله أو قصر مدته، فمسلسل «الأب الروحي»، الذي يتكوّن من ثلاثين حلقة، من خمسة أجزاء، حقق نجاحاً في أول جزيه رغم تجاوزهما 120 حلقة، والجمهور في النهاية يريد توليفة من التشويق، وسرعة الإيقاع والأحداث، وجودة الصورة، وبراعة الأداء، والتي حال توافرها في أي عمل سينمائي له النجاح مهما كانت مدته الزمنية.

«السباعيات» تجبر الدراما المصرية على تغيير جلدّها

مسلسلات تكسر ملل المشاهدة المُطمطة وتمنح جرعة فنية مكثفة



مسلسل «إلّا أنا» حقق رواجا بحلقاته المنفصلة

زمنًا المتخصّصة في الدراما القديمة، بمجرد التنويه عن موعد عرض حلقة الأولى.

ويتوقّع خبراء أن تتطوّر الأعمال التقليدية نفسها عبر تقسيم العمل لقصصين في عمل واحد، كل منهما 15 حلقة بنفس الأبطال مع الاستعانة بكاتبي سيناريو، وعودة أعمال الحلقات المنفصلة التي تتسم بتقديم قصص كثيرة متنوعة لا يوجد بينها أي رابط درامي، في ظل وجود سوق رائجة لها في فضائيات الدراما ولا تجد ما يسدّ ساعات بقها المفتوحة على مدار اليوم.

وأكدت الناقدة ماجدة مورييس أن الدراما التلفزيونية اتبعت في نشأتها أسلوب السباعيات، وتطوّرت إلى 14 حلقة وصولاً لأسلوب الثلاثين حلقة والأجزاء، وعودة الأعمال القصيرة مجدداً مرتبطة بنقص مساحات الصبر والوقت لدى المشاهدين لمناجاة الأعمال الطويلة، وحاجتهم إلى أحداث مختصرة ومركزة.



ماجدة خيرالله

الأعمال الاجتماعية تلقى
النجاح عادة، سواء كانت
قصيرة أو طويلة

وتكتسب المسلسلات القصيرة زخماً مع التراجع المستمر للإنتاج السينمائي على المستويين الكمي والنوعي، ومحاوله استقطاب جمهور السينما إلى قائمة مشاهدي الدراما بالدفع بالوجوه ذات الشعبية في شبك التذاكر إلى ساحة المسلسلات، وعزل الفواصل القديمة بين نجوم السينما والدراما.

ويرتبط انتعاشها بدخول مجموعة جديدة من صناعات الأفلام القصيرة المستقلة إلى ساحة الدراما، ونقلهم أسلوب عملهم إليها، مثل أحمد فوزي صالح، مؤلف مسلسل «الحرّامي» الذي قلص عدد الحلقة الواحدة من العمل، بإجمالي 80 دقيقة للعمل كله، أقل من مدة أي فيلم سينمائي عادي.

وأشارت مورييس إلى أن المنتجين سيفضلون مستقبل أسلوب «السباعيات»، لتحقيق مكاسب للقائمين على الصناعة بدءاً من الإنتاج بتقليل التكلفة، إضافة إلى تقليص الوقت اللازم لإنهاء التصوير والمشاركة بعدة أعمال في آن واحد، كما يقلل الإرهاق على كتاب السيناريو الحبيكات الفرعية اللازمة لتطوير الأحداث، وتأهيل أعمالهم لاشتراطات البث الرقمي.

ويظل رهان المعيار الرئيسي لنجاح العمل الدرامي على جودة صناعته، وجبته وليس طوله أو قصر مدته، فمسلسل «الأب الروحي»، الذي يتكوّن من ثلاثين حلقة، من خمسة أجزاء، حقق نجاحاً في أول جزيه رغم تجاوزهما 120 حلقة، والجمهور في النهاية يريد توليفة من التشويق، وسرعة الإيقاع والأحداث، وجودة الصورة، وبراعة الأداء، والتي حال توافرها في أي عمل سينمائي له النجاح مهما كانت مدته الزمنية.

الجودة فعلى المستوى العالمي توجد أعمال لا تتعدى سبع حلقات، وأخرى تقدّم على مدار سنوات دون ملل من قبل المشاهدين، والأمير مرتبط بمدى الاحترافية في الكتابة والمعالجة وخلق مساحات مستمرة من الإثارة.

ولا تمثل دراما السباعيات التي تجد طريقها للانتشار اتجاهها فنياً مستعداً، لكنها ارتداد نحو الماضي، وتحديداً إلى فترة الستينات من القرن الماضي التي شهدت إنتاجاً درامياً مكثفاً عبر السباعيات والسهرة التلفزيونية والتمثليات القصيرة.

وتضيف خيرالله لـ«العرب»، أن الفكرة التي يعالجها المسلسل تتحمل جانباً أساسياً في تحقيق ارتباط مع المشاهدين، فالقصص التي تهّم المجتمع أو تعبر عن حياة البشر تلقى نجاحاً كبيراً، سواء كانت قصيرة أو طويلة، وعلى كتاب السيناريو عدم وضع قيود مسبقة على كتاباتهم تتعلق بطول الأحداث وترك الأمر لسلامة السرد والأحداث.

واستطاعت الأعمال القصيرة المعروضة أخيراً استقطاب فئة من الجمهور الشاب المتعجل المهووس بالمقاطع القصيرة على مواقع التواصل الاجتماعي، غير أنها تعاني من عيوب متكررة تفقد استقطاب الجمهور المعصّي، بينها الجور على العناصر الأساسية للبناء الدرامي، بتقديم الأبطال في صورة تماثيل جامدة دون خلفيات ولا سياقات تبرّر سلوكهم وتمنطقه.

وتحسر المسلسلات المصنوعة لصالح البث الرقمي عناصر التشويق الفني في الحلقتين الأولى والثانية، لتهدر الأمور من يد صناعها بعد ذلك، فثبداً الأحداث في التباطؤ مع قدر من الملل، قبل أن تعود للسخونة في الحلقة الأخيرة، وهي العيوب ذاتها التي تعاني منها الأعمال الطويلة، مع اختلاف في مساحات المط، وليس في وجوده من عدمه.

تغيير متوقّع

تكتسب الدراما الطويلة أيضاً نيعاً لا ينضب من النوستالجيا، أو الحنين إلى الماضي، والتي تدفع الجمهور لتكرار مشاهدة الأعمال القديمة بالشغف ذاته، وتذكر مهن مندثرة، وحارات تغيرت ملامحها، وهدوء اندثر في وجوه البشر وقيم محببة ضاعت مع الزمن، وأصبحت مسارا للرباء.

وتصنر هاشتاغ «فرح سنينة» (زفاف سنينة) مواقع التواصل الاجتماعي مع إعادة حلقة تتضمن مشهداً لزوج إحدى بطلات مسلسل «لن أعيش في جلباب أبي» بطولة نور الشريف، رغم مرور ربع قرن على عرضه، مع سيل من التعليقات التي تذكر تفاصيل حياتية قديمة تزامنت مع العرض الأول للعمل عام 1996. وتكرّر الأمر مع «هارب من الأيام»، أول مسلسل مصري تم عرضه بعد عامين فقط من افتتاح التلفزيون المصري (عام 1960)، وحققت معدلات مشاهدة قياسية لقناة «ماسبيرو

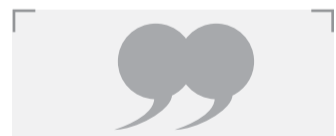
هل يقضي انتعاش صناعة المسلسلات القصيرة على الدراما التقليدية الطويلة التي تمتلك شريحة عريضة من الجمهور، وهل ينذر بإحداث تغييرات في طريقة صناعتها لتميل أكثر نحو الأعمال المقسمة إلى قصصين بنفس فريق التمثيل وكتاب سيناريو مختلفين، وهل يعيد التركيز على مسلسلات الحلقات المتنوعة المنفصلة التي تضم العشرات من القصص في موسم واحد؟

في المقام الأول، وانغماساً وجدانياً مع الأبطال فيسعد لفرحهم ويحزن لحزنهم، ويبحث بعضهم داخلها عن مساحات معتادة للحديث اليومي مع شبكة المعارف لتصبح المشاهدة نوعاً من أنماط الحياة.

عناصر تشويق

يرى البعض من النقاد أن اتساع تجربة الأعمال القصيرة قد يجبر صناعة الدراما التقليدية على تغيير طريقها المعتادة، وتقلل من المسلسلات المعتمدة على أربعة وخمسة أجزاء، لصالح جزء واحد مكثف في أحداثه لا يزيد عن ثلاثين حلقة، وبمدى زمني، ربما لا يتجاوز 30 دقيقة للوحدة منها، ثم تتجه إلى تقليص هذا العدد لنحو ربع عدد الحلقات، وأقل في المدة الزمنية، فمسلسل «الحرّامي» لم تتجاوز مدة الحلقة 12 دقيقة.

وتقول الناقدة ماجدة خيرالله إن المعيار الرئيسي للحكم على الدراما هو



السباعيات حرصت على مواكبة السوق المتنامية لمنصات البث الرقمي التي تستقطب الجمهور من حملة الهواتف الذكية

ووجد مسلسل «إلّا أنا»، وهو حلقات منفصلة، بطولة مجموعة من الفنانين، يتغيرون حسب كل قصة، ورواجاً شجّع القائمين عليه على تقديم الكثير من القصص، وهو يشبه مسلسل «تصبي وسسكتك»، والذي يتكوّن من عدة أجزاء، وكل جزء يتكوّن من عدة قصص، كل منها تتناول قضية منفصلة في نحو سبع حلقات أو أقل.

وتزايدت عملية الاقتباس من الأعمال الغربية، أو البحث في دهاليز التراث الفني السابق، عن شخصيات يمكن حشرها حتى ولو خالفت السياق، ما يشي بأن هناك صعوبة في البحث عن أفكار مفيدة للفن والمجتمع.

ولا ينذر ذلك الاتجاه الفني بانتهاء المسلسلات الطويلة التي لديها نسبة حضور كثيف من الجمهور الثابت من كبار السن، يعتبرون الدراما قدرات تمثيلية

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

أسئلة كثيرة فرضتها المسلسلات المكوّنة من عدد قليل من الحلقات، وأثرت على الأعمال الفنية التي تشبه العلاقات على الساحة الدرامية المصرية، وقد استفادت من عيوب مزمّنة وأخطاء متكررة طغت على الكثير من الأعمال التقليدية الطويلة، وحرصت على مواكبة السوق المتنامية لمنصات البث الرقمي التي تستقطب الجمهور من حملة الهواتف الذكية.

وضمن هذا الإطار، يستعد الفنان المصري أمير كرارة لتصوير مسلسل من سبع حلقات لم يتم تحديد عنوانه بعد، ليخس على منصة «واتش إيت» الرقمية، لينضم إلى سلسلة أعمال تبنت التوجه ذاته، ولقبت رواجاً جماهيرياً مؤخراً، مثل «الحرّامي» ليومي فؤاد ورائيا يوسف، و«ليه لا» بطولة الممثلة امينة خليل، و«تشدّد الخطورة» لأحمد العوضي، وتم عرضه بأسلوب الحلقة الواحدة أسبوعياً، واستمر نحو شهر ونصف الشهر.

ووجد مسلسل «إلّا أنا»، وهو حلقات منفصلة، بطولة مجموعة من الفنانين، يتغيرون حسب كل قصة، ورواجاً شجّع القائمين عليه على تقديم الكثير من القصص، وهو يشبه مسلسل «تصبي وسسكتك»، والذي يتكوّن من عدة أجزاء، وكل جزء يتكوّن من عدة قصص، كل منها تتناول قضية منفصلة في نحو سبع حلقات أو أقل.

وتزايدت عملية الاقتباس من الأعمال الغربية، أو البحث في دهاليز التراث الفني السابق، عن شخصيات يمكن حشرها حتى ولو خالفت السياق، ما يشي بأن هناك صعوبة في البحث عن أفكار مفيدة للفن والمجتمع.

ولا ينذر ذلك الاتجاه الفني بانتهاء المسلسلات الطويلة التي لديها نسبة حضور كثيف من الجمهور الثابت من كبار السن، يعتبرون الدراما قدرات تمثيلية

ووجد مسلسل «إلّا أنا»، وهو حلقات منفصلة، بطولة مجموعة من الفنانين، يتغيرون حسب كل قصة، ورواجاً شجّع القائمين عليه على تقديم الكثير من القصص، وهو يشبه مسلسل «تصبي وسسكتك»، والذي يتكوّن من عدة أجزاء، وكل جزء يتكوّن من عدة قصص، كل منها تتناول قضية منفصلة في نحو سبع حلقات أو أقل.

وتزايدت عملية الاقتباس من الأعمال الغربية، أو البحث في دهاليز التراث الفني السابق، عن شخصيات يمكن حشرها حتى ولو خالفت السياق، ما يشي بأن هناك صعوبة في البحث عن أفكار مفيدة للفن والمجتمع.

ولا ينذر ذلك الاتجاه الفني بانتهاء المسلسلات الطويلة التي لديها نسبة حضور كثيف من الجمهور الثابت من كبار السن، يعتبرون الدراما قدرات تمثيلية